المحاضرة الأولى :

آليات التحليل الإجتماعي عند العرب :

مقدمة

إن العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة جذرية متماسكة ولا يتولد فن عموما ولا أدب خصوصا إلا في الجماعة ولا يصح إذا قلنا إنه يولد فلان فنا ليمتع به نفسه أو يقول شعرا ليسمعه وحده ثم من أين يستمد الفنان أو الشاعر أفعاله ؟ أليس من تجاربه في بيئته ؟ وهل يقتبس صوره وقيمه إلا من الثقافة التي تلقاها منذ الصغر ولايمكن له أن يشعر برضى وراحة إلا عندما يجد من يقرأ الشعر أو يستمع إليه ، ومن يتمتع بالفن فيشاركه في الأحاسيس ويقدر الأنامل التي صاغت ونحتت.

حتى لا ننكر أن لكل شاعر طابعا خاصا يميزه شعره عن سواه وأن لشخصية الأديب وحياته النفسية دورا بارزا في مواقفه الأدبية لكن الأدباء والفنانين هم أبناء بيئتهم منها ينهلون ويتناولون ويغرفون وفيها يشع إنتاجهم ويتدفق إبداعهم وإليها يلتفتون فلا أدب ولا فن إلا في الجماعة ومن أجل الجماعة ، ولا يمكن الغوص في أعماق الأدب إلا داخل الإطار الإجتماعي الذي منه ينطلق الأدب وإليه يلتفت.

تعريف المجتمع:

1- لغة : كلمة المجتمع من الفعل إجتمع مشتق من الفعل الثلاثي جمع ، جمعية منهم وكنت من الناس وهذا الكلام أولج في المسامع وأجول في المجامع ومعه جمع غير جماع الأشابه قال أبو القيس بن الأسلف :

ثم تجملت ولنا غاية * من سن جمع غير جماع**

وفي الحديث كان في جبل تهامة جماعة قد غضبو المارة وهم كجماع الثريا وهي كواكبها المجتمعة

2- إصطلاحا : مجموعة من الناس يرتبطون معا بالعادات والتقاليد والأحكام الأخلاقية ، ويحترمون بعضهم البعض ويشكلون جزءا من أجزاء الحياة الإجتماعية ويعرف المجتمع أيضا بأنه أفراد يجتمعون معا ويعيشون فيه أو ترتبط بينهم مختلف الروابط الوثيقة

الجذور الأولى الغربية للمنهج الإجتماعي

المنهج الإجتماعي من المناهج الضرورية في الدراسات النقدية والأدبية ، حيث إنبثق من المنهج التاريخي وتولد فيه واستقى بدايته الأولى منه ، وهذا ما شاع عند المفكرين والنقاد الذين استوعبو الفكرة فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة في المنهج التاريخي فضل ظهور المنهج الإجتماعي سواء فيما يتعلق بالأسس والمبادئ التي يقوم عليها هذا الأخير وهو المنطق الذي يكون غير محوري الزمان والمكان ، فالبنسبة للزمان يرتبط بالتغيرات النوعية للأعمال الأدبية إذ يرتبط بالتغيرات النوعية للأعمال الأدبية إذ يرتبط بالتحولات المختلفة للحقب التاريخية أما فيما يخص المكان فإن لكل مكان زمانه وتاريخه وظروفه الخاصة به

تعريف المنهج:

1- لغة : المنهج من الفعل الثلاثي نهج ، ينهج بين واضح وهو المنهج قال أبو كبير

نأخذه بأقل تحسب أثره * نهجا لبنان بذي نهج مفرح**

والجمع ناهجات ونهج ونهج قال أبو:

به رحمات بينهن مضارم * نهج كليات الهجائن قبح**

وطرق نهجه ، وسبل منهج كنهج الطريق وضحه والمنهج كالمنهج وفي التنزيل {**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**} سورة المائدة الآية 48.

2- إصطلاحا :

المنهج في أبسط معانيه وتعريفاته هو " الطريقة أو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة "

وهو يدل على الوسائل والإجراءات العقلية ، طبقا للحدود المنطقية التي تؤدي إلى نتائج معينة.

نشأة وتطور المنهج الإجتماعي:

نشأته :

يعتبر المنهج الإجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية النقدية ، فقد انبثق هذا المنهج ، من حضن المنهج التاريخي وتولد عنه واستقى منطلقاته الأولى منه ، خاصة عند المفكرين والنقاد الذين استوعبو فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة وتحولاتها ، طبقا لإختلاف البيئات والظروف والعصور.

لقد أسفر ذلك كله عن توجه عام للربط بين الأدب والمجتمع ، ويمكن القول بأن المنهج الإجتماعي هو الذي يبقى في نهاية الأمر من المنهج التاريخي ففي بداية الأمر نصبت كل الدراسات بفكرة الوعي التاريخي إذ سرعان ما تحول هذا الوعي إلى وعي إجتماعي يربط المجتمه وفكرة الطبقات وكذلك بفكرة تمثيل الأدب للحياة على المستوى الجماعي وليس الفردي بمعنى أنه كلما اعتبرت الأعمال الأدبية تعبيرا عن الواقع الخارجي كان ذلك مدخلا لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنيته ونظمه وتحولاته باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الأدبية والفنية

تطوره :

عملت الماركسية مع الواقعية جنب إلى جنب في تعميق الإتجاه الذي يدعو إلى التلازم بين التطور الإجتماعي والإزدهار الأدبي بما أنهم في ازدهار " علم الإجتماع " بتنوعاته المختلفة كان من بينهما علم نشأ قبل منتصف القرن العشرين ، أطلق عليه " علم إجتماع الأدب " أو " سيسيولوجيا الأدب" وقد تأثر هذا العلم بالتطورات التي حدثت في الأدب من جانب أو ما حدث في مناهج علم الإجتماع من جانب آخر

هذا يعني أن تطور الأدب ومناهج علم الإجتماع من الأسباب المباشرة لظهور " علم اجتماع الأدب " فالماركسية تعتمد بالعوامل الإجتماعية والإقتصادية كمؤثرات في الإنتاج الأدبي

إن نتيجة التطور الإقتصادي والسياسي ... وارتباطه بالتطور الإبداعي الأدبي ، لايظهر مباشرة بل يلزم ذلك مرور أجيال وعصور طويلة حتى يتفاعل الأدب مع مظاهر التطور المختلفة ويكتسب القوة منها فهذا القانون يرفض ارتباط الأدب بالمجتمع في فترات وجيزة فالإبداع الأدبي أيضا مرتبط بالتطور الإقتصادي والسياسي ويتفاعل معه لكن ذلك لايظهر إلا بعد مرور أجيال وعصور

أسس المنهج الإجتماعي:

- ربط بالمجتمع والنظر إليه على أنه لسان المجتمع فالأدب صورة العصر والمجتمع والأعمال الأدبية وثائق تاريخية واجتماعية

- الأديب يؤثر في مجتمعه ويتأثر به ورؤيته تتبلور بتأثير المجتمع المحيط والتربية
- الأدب جزء من النظام الإجتماعي وهو كسائر الفنون طاهرة ووظيفة اجتماعية
- الأدب ضرورة لاغنى عنها للمجتمع ولا يستطيع الإنسان أن يقدم حضارة دونه
- الأساس الإقتصادي هو الذي يحدد طبيعة الإيديولوجيا
- الأدب لايصور حال المجتمع تصويرا فوتوغرافيا ، بل من خلال فهم الأدب له
- ربط المنهج الإجتماعي الأدب بالجماهير فجعله هدفا مباشرا لخطابه

إتجاهات المنهج الإجتماعي:

الإتجاه الأول :الكمي

يعتمد هذا الإتجاه في دراساته على " الإحصاءات " و " البيانات " ويرى هذا الإتجاه أن الأدب جزء من الحركة الثقافية وأن تحليل الأدب يتطلب جمع أكبر عدد ممكن من البيانات الدقيقة عن الأعمال الأدبية فعندما ندرس رواية فإننا نتطرق إلى الإنتاج الروائي في فترة محددة ، وبما أن الرواية جزء من الإنتاج السردي من قصة وقصة قصيرة وغيرها لذلك يجب الأخذ بعين الإعتبار عدد القصص والروايات التي ظهرت في تلك البيئة وعدد الطبعات التي صدرت منها ، ودرجة انتشارها والعوائق التي واجهتها ولو أمكن أن نصل إلى عدد القراء واستجاباتهم وغيرها من الإحصاءات الكمية حتى يمكننا دراسة الظاهرة الأدبية كأنها جزء من الظاهرة الإقتصادية.

ومن رواد هذا الإتجاه الناقد الفرنسي (سكاربيه) وله كتاب في (علم الأدب) وهو يدرس الأدب كظاهرة إنتاجية مرتبطة بقوانين السوق ويمكن عن هذا الطريق دراسة الأعمال الأدبية من ناحية الكم في الدرجة الأولى

أي تدرس الأعمال الأدبية على أساس أنها ظواهر اجتماعية تستخدم فيها لغة الأرقام وكل ما يتصل بالأعمال الأدبية من العوامل الخارجية من حيث عدد النسخ والطبعات ومجموع القراء ، وإذا كانت قد ترجمة إلى لغات أخرى.

الإتجاه الثاني: المدرسة الجدلية

حلل (لوكاتش) العلاقة بين الأدب والمجتمع باعتباره انعكاسا وتمثيلا للحياة الإجتماعية والثقافية لمجتمع مايسمى " سيسيولوجيا الأجناس الأدبية " تناول فيه طبيعة ونشأة الرواية المقترنة بنشأة الحركة الرأسمالية العالمية وصعود البرجوازية الغربية وجاء بعد (لوكاتش) (لوسيان غولدمان) انطلق من مبادئه وطورها

واعتمد (غولدمان) على مجموعة من المبادئ نذكر منها :

1- يرى (غولدمان) أن الأدب ليس إنجازا فرديا بل هو يعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة.
2- كلما كان الأديب على درجة عالية من القوة والعمق زاد إقبال القراء على أدبه ، بسبب قوته في تجسيد المنظور الجماعي ووعيه الحقيقي بحياة المجتمع

3- الأعمال الأدبية تتميز بأجندة دلالية كلية ، ويمكن إيجاد تناظر بين بنية الوعي الجماعي من ناحية والبنية الدلالية من ناحية أخرى كأنهما حلقات يمكن لهما الإلتحام.

واعتمادا على ما سبق نجد بين العمل الأدبي ودلالته اتصالا وتناظرا ونقطة الاتصال بينهما (البنية الدلالية و الوعي الجماعي) هي أهم الحلقات عند غولدمان والتي يطلق عليها مصطلح " رؤية العالم " فكل عمل أدبي يتضمن رؤية للعالم .

المراجع :

1. ينظر :المنجي حامد :المجتمع وآليات تحليله أزمة النظرية أم أزمة مجتمع مجلة دراسات والبحوث الاجتماعية ، المجلد 08 ،العدد 03سبتمبر ،جامعة قفصة ، تونس ،2016.
2. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/70529
3. ينظر :جواد ختام : المنهج الاجتماعي ،بداياته و تطوره و بداياته .
4. https://www.marocagreg.com/forum/sujet--12069.html
5. ينظر : نبيل راغب تحليل قضية أدبية " المنهج الاجتماعي موسوعة البحوث العربية ".
6. http://encyclopediaarabia.blogspot.com/2013/03/blog-post_8662.html